اعترافات فتيات للعبرة والعظة

- تجربتى للفتيات اللاتى يتمسكن بميسور الحال.
- كل ما أطلبه أن يكون رجلاً متديناً.
- رسالة فتاة إلى كل فتاة .. قبل أن يصيبها حريق الزواج العرفى.
- تجربة مريرة نسوقها للفتاة التى تحلم بالثراء السريع.
- صرخة فتاة عانس.
- لا تجعلى من نفسك سلعة رخيصة
- عندما يشك زوجى فى عذريتى ليلة الزفاف... ماذا أفعل؟
- الزواج المثالى.
- .... واعترافات أخرى.

تجربتى للفتيات اللاتى يتمسكن بميسور الحال:

إنها قصة الأمس واليوم والغد .. قصة إعلاء العاطفة الصادقة، والأخلاق السامية، والتمسك بآداب الدين وتعاليمه على ما سواها من الاعتبارات الأخرى التى لا تُحقق وحدها السعادة ـ وإنْ عظم شأنها ـ والاستعداد للتضحية ببعض متاع الحياة فى سبيل تحقيق الهدف، ولو تكالبت الصعاب واشتدت، والصبر على الظروف غير المواتية، والكفاح المخلص لتغييرها إلى الأفضل.

إنها قصة زوجة شابة مُحِبَّة اختارت شريك حياتها بِهَدْىٍ من تعاليم دينها، ورجَّحَت الأخلاق والدين على بقية الاعتبارات، فتحملت مع زوجها بإرادتها واختيارها صعاب البداية، واستعانت بحبها له وحُبه لها على مغالبة الظروف القاسية واحتمالها، حتى إذا اجتازَا الصعاب معًا، وتنسما بعض نسائم الراحة واليُسْر فى حياتهما، سلم كل منهما للآخر بأنه لولا مساندته وإيمانه به لما نجت السفينة من التحطم فوق الصخور، ولما حَقَّقَا معًا ما حققاه من نجاح.

نعم .. إنها قصة أجد فيها ما قد يستفيد منها بعض الشباب والفتيات، خاصة من يشكون منهم قلة الإمكانيات، وتعنُّت الأُسر فى المطالب المادية لإتمام الزواج .. تروى صاحبة تلك القصة تجربتها فتقول:

أنا شابة فى الثامنة والعشرين من عمرى، من أُسرة طيبة، تخرجت فى إحدى كليات القمة، وحين كنت فى السنة الأولى من المرحلة الجامعية تقدم لخطبتى أحد الشبان الأثرياء ... وكان اليوم الذى سأبدى فيه رأيى بالقبول أو الرفض يوم جمعة، فصليتُ صلاةَ الاستخارة، ودعوتُ الله سبحانه وتعالى أن يهدينى إلى الرأى الصواب، وشعرت بالرد المناسب على الأمر الذى يشغلنى، ورفضتُ ذلك العريس، الذى لم يكن بالنسبة لى سوى شاب فى مركز مرموق وميسور الحال .. ولم تعترض أُسرتى على قرارى.

ومضت سنوات الجامعة، وتخرجت في كليتي، وعملتُ، وبدأت مرحلة جديدة من حياتي، وبعد عملي بفترة وجيزة فُوجئت بأحد زملائي في العمل - وهو رجل صالح - يطلب مني تحديد موعدٍ لأحد أصدقائه لكي يزور أبي في بيته ويطلب يدي منه ... واستجبتُ لطلب الزميل الفاضل، وحددتُ لصديقه - الذي لا أعرفه ولم ألتقِ به من قبل موعدًا مع أبي .. وكان في أحد أيام الجمعة.

وقبل أن يجيء الشاب إلى بيتي صليتُ صلاة الاستخارة، وسألت الله سبحانه وتعالى أن يرزقني زوجًا صالحًا يعفُّني، ويحفظ عليَّ ديني، كما هدانا إلى ذلك رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم.

وحل الموعد، وجاء الشاب، واستقبله أبي في "الصالون" ... وُدعيتُ بعد فترة لرؤيته لأول مرة، فما أَنْ وقع بصري عليه حتى شعرتُ براحة قلبية غريبة تجاهه، وأحسستُ أن صوتًا من السماء يهمس في أُذني بأن هذا الشاب سيكون زوجي الذي أسعد به ومعه إن شاء الله.

وانتهت المقابلة، وانصرف الشاب شاكرًا .. وترقبتُ أن يُبَلِّغَنِي أبي وأمي بترحيبهما المبدئي به، ثم يسألاني عن رأيي فيه، فَفُوجِئْتُ بِأُسرتي تعلن رفضها القاطع له، وكانت أسبابها لذلك هي أنه لا يملك شقة في المدينة التي نُقيم فيها، وليس له سوى شقة متواضعة في قرية ريفية قريبة من المدينة .. كما أن مستواه المادي ليس مرتفعًا كَمَنْ سبقوه في التقدم لخطبتي، فضلاً عن أنه ليس خريج كلية جامعية مثلي، وإنما خريج أحد المعاهد العليا.

وتأملتُ طويلا في هذه الأسباب، ورأيتُ أنها كلها ليست أسبابًا شرعية للرفض، على الرغم من احترامي الكامل لوجهة نظر أبي وأمي، بل وتقديري أيضًا لحرصهما على سعادتي، وطلبهما لي الأفضل، ذلك أنني قد وجدتُهما لا يناقشان خُلُقَهُ ودينه، ومدى قربه أو بعده عن ربه، أو شخصيته ورجولته، مع أن هذه هي العوامل الجوهرية والمطلوبة بشدة لإنجاح الزواج، وليست الإمكانات المادية، أو الشقة المناسبة في المدينة فقط.

نعم .. لقد آمنتُ أن المال وحده لا يجلب السعادة لأحد إن لم تُسانده الفضائل الخُلقية، والقيم الدينية، وحُسْن المعاشرة، فاستجمعتُ شجاعتى ـ بعد شىء من التردد ـ وأعلنتُ لأُسرتى موافقتى على هذا الشاب، بل وتمسكى به أيضًا، واستعنتُ بالله فى محاولةِ إقناع أبى وأمى بهذا الشاب، لكن محاولاتى كلها قد باءت بالفشل، ولكنى اعتصمتُ بالصبر فى محاولة تغيير رأيهما، والتزمت معهما بأدب الحوار، فلم تصدر عنى كلمة واحدة تغضبهما منى، والحمد لله.

وحين وجدت أن توسلاتى إليهما لم تُجْدِ شيئًا، مَرِضْتُ، وأصابنى ما يشبه الذبحة الصدرية، مما دفع أحد أقاربى لأن يسألنى: لماذا أتمسكُ بهذا الشاب بالذات؟ ... وهل هناك علاقة غرامية بيننا تدعونى لهذا الإصرار عليه؟ ... فأجبتُه صادقةً بأن الله سبحانه وتعالى شاهدٌ على أنى لم أعرفه ولم ألتقِ به، ولم أره إلا يوم جاء إلى بيتنا لخطبتى، لكنه هو القبول الذى لم أستشعره تجاه أى إنسان آخر سواه، والأمر لله من قَبْلُ ومن بعد.

وإزاء مرضى واستسلامى للحزن والكآبة، لم يملك أبواى سوى الموافقة على خطبتى لهذا الشاب، وهما غير مُتحمسين .. وتمت الخطبة، وكان يومًا حزينًا بالنسبة للأُسرة، فقد رأيت الحزن الصامت فى عيون كل أفرادها، ولذا لم أشعر بالفرحة التى ترقبتها طويلاً.

وبدأ خطيبى يزورنى فى البيت كثيرًا، ولم تمض فترة طويلة حتى كان قد استطاع أن يُثبت للجميع حُسْنَ أخلاقه وكمال رجولته، فلا يمانع أبى فى عقد القران .. وبدأ زوجى فى إعداد سكنه بالقرية، وشيئًا فشيئًا أصبح هذا الشاب الذى لم يرحب به أحد فى البداية أقرب إنسان إلى قلوب أبى وأمى وإخوتى وأقاربى، وبدأت أنا أغبطه على حُب الجميع له.

وخلال تلك الفترة حاولتُ مساعدته على إتمام الزواج، فاشتركتُ فى جمعية ادخار بمعظم مرتبى سرًّا، وقدمتُ له مبلغ الجمعية ليستعين به على أمره .. ثم بدأت جمعية أخرى واشتريتُ بقيمتها بعض الأشياء اللازمة للجهاز وزعمتُ لأسرتى أنه هو الذى قد اشتراها بماله، لكى أُعَزِّزَ موقفه أمامها.

واقترب موعد الزفاف، ولم يكن زوجى قادرًا على شراء الفستان الأبيض كما كان مطلوبًا منه، فاشتريته أنا سرًا، وأخبرتُ أُسرتى أنه قد اشتراه .. وتم الزفافُ السعيد، وانتقلتُ مع زوجى إلى شقته بالقرية الريفية.

وبدأنا حياتنا الجديدة بأداء رَكْعَتَىْ شُكر لله سبحانه وتعالى الذى جمع بيننا.

ومن اللحظة الأولى التى بدأنا فيها حياتنا معًا، وجدتُ فى زوجى كل ما أتمناه فى شريك الحياة من حُبٍ وحنان، ومراعاة لمشاعرى ... وكنت أتعامل معه بمقتضى أننى امرأة وهو الرجل، بمعنى ألا أتجاوز حدود دورى فى الحياة كامرأة تؤمن بقوامة الرجل على المرأة .. فلم أُقْدمْ على أىِّ عملٍ أو تصرف إلا باستشارته وقبوله، كما كان يستشيرنى هو فى كل شىء .. وحَرَص كل منا على ألاَّ يغضب الآخر منه .. لقد واجهتنا فى البداية صعوبات مادية شديدة، حيث كان زوجى مدينًا بديون ثقيلة قد اقترضها من أصدقائه وزملائه لإتمام ترتيبات الزواج، وعليه أن يبدأ فى سدادها على الفور، فطلبتُ من زوجى ألاَّ يعطينى من مرتبه سوى خمسين جنيها فقط كل شهر على أن أدبر أُمور معيشتنا كلها بهذا المبلغ الضئيل مع مرتبى، الذى لم يكن يزيد وقتها عن مائة جنيه.

فقد اشترك زوجى ببقية مرتبه فى جمعية لسداد الديون، ورغم ذلك فلم تمنعنا الضائقة المالية من أن نستشعر السعادة والحب فى حياتنا، فلم تمنعنا ـ مثلاً ـ من أن يقدم كل منا للآخر هدية بسيطة فى عيد ميلاده، أو عيد الزواج، مصحوبة بأَرَقِّ الكلمات ... ولا من أن نخرج من حين لآخر للنزهة لكى نجدد نشاطنا وقدراتنا على مواصلة رحلة كفاحنا فى الحياة، وخصوصًا أن زوجى قد راح يعمل ساعات طويلة للغاية لكى يسدد ديونه والتزاماته، حتى أشفقتُ عليه من المجهود الزائد الذى يبذله.

وفى محاولة منى لتخفيف العبء عنه قدمتُ له ـ دون أن تعلم أُسرتى ـ شبكتى ليبيعها ويسدد بثمنها بعض الديون، لأن دور الشبكة قد انتهى فى نظرى بمجرد أن شاهدها الناس فى حفل الزفاف، وليس من الحب والمروءة أن أرى زوجى وهو يختنق ويكافح كفاحًا مريرًا لسداد ديونه، ولَدَىَّ ما أستطيع مساعدته به ولا أُقدمه له طواعية.

وتمر الشهور والأيام، وأُنجب مولودتى الجميلة، ولم يعلم أحد قط من أهلى أو من الآخرين أننا فى ضائقة مالية شديدة، ولكن بتوفيق من الله سبحانه وتعالى استطاع زوجى خلال عامين فقط من الزواج سداد جميع ديونه. وتنفسنا الصعداء، وبدأنا نستشعر الراحة فى حياتنا الزوجية، وقمنا بشراء بعض الكماليات التى كانت تنقصنا.

وحرص زوجى دائمًا على أنْ أَصِلَ رحمى، وأن يَصلَ هو رحمه، كما حرص على مجاملة أهلى، وخصوصًا فى المناسبات، كما أحرص على مجاملة أهله الذين استشعرتُ بحبهم لى وكأننى ابنتهم.

وتمر بنا رحلة الحياة حتى يكافئنا الله على صبرنا وصمودنا أمام الصعاب التى واجهتنا، فيحصل زوجى على ترقية فى عمله لا يصل إليها أحد إلا بعد سنين طويلة من مزاولة العمل، ومن ثمَّ زاد دخله، كما زاد مرتبى أنا أيضًا، فتحسَّنَ وضعنا المادى كثيرًا، وتم لنا شراء كل الكماليات التى كنا فى حاجة إليها.

والحمد لله نحن الآن نستعد لبناء شقة خاصة بنا فى المنزل الذى يملكه والدى فى مدينة أُسرتى، وكل ذلك بفضل الله تعالى الذى جازانا على صبرنا، واجتهاد زوجى وعمله الدائب ليل نهار، ولا أنسى أنه بفضل تعاوننا معًا على طاعة الله وتضرعنا إليه بالدعوات فى كل وقت وحين أن يذلل صعاب الحياة ..

ولم نكن نستطيع التغلُّب عليها بغير الحب، الذى هَوَّنَ علينا ما كنا فيه من مشكلات، يضج منها الإنسان ما لم يَتَحَلَّ بالرضا بما قسمه الله له، شكرًا لأنْعُمِهِ، مؤمنًا بأقدار ومقادير الله له.

لذلك أقول للفتيات المقبلات على مرحلة الزواج، واللاتى يتمسكن بالشقة فى المدينة، والإمكانات المادية الكبيرة للزوج : إنه إذا كانت أسعار الشقق فى المدينة تفوق قُدراتنا المادية، فلماذا لا نتجه إلى الريف أو المدن الجديدة؛ خاصة أن المواصلات وخطوط التليفونات قد قصرت المسافات؟ .. ولماذا لا نتعاون مع الشباب المقدمين على الزواج على تذليل الصعاب أمامهم بدلاً من تضخيمها؟

إن السعادة لا تتحقق بالإمكانات المادية وحدها، ولا تقتصر على السُكنى فى مساكن ذات مواصفات نريدها نحن .. إنما تولد السعادة فى كل مكانٍ يجتمع فيه قلبان على الحب الصادق، والإخلاص والوفاء(*).

❑ ❑ ❑

كل ما أطلبه أن يكون رجلاً مُتديِّنًا:

هناك من الفتيات من يُفَكِّرْن فى أمر الزواج تفكيرًا سَوِيًّا لا يغلب عليه الشطط فى المطالب والتطلعات الدنيوية، ولا الانسياق وراء الأحلام المادية، والرغبة العارمة فى الحصول على الأرفع والأفضل دائمًا دون تقديم أى عطاء، ومن تلك الفتيات التى نحن بصددها فتاة لا يعجبها من بنات جنسها هذه السمة: التطلع إلى الاقتران بزوج يزخر بمواصفات خيالية ليست موجودة فى واقع الحياة ... وإذا كانت موجودة وتجتمع كلها فى إنسان واحد، فهناك الكثير من التنازلات سوف تضطر هذه الفتاة لتقديمها للحصول على هذا الزوج، فتقول فى رسالة لها:

أنا فتاة جميلة ومتدينة والحمد لله رب العالمين، أتميز بمواصفات يتمناها أى رجل فى الدنيا، وكل ما أطلبه أن يكون رجلاً متدينًا وملتزمًا، يرعى الله ويتقيه فى الإنسانة التى سوف يرتبط بها، ويعمل لآخرته أكثر مما يعمل لدنياه .. وليست لى مطامع دنيوية، فلا أُريد زوجًا يكتب لى شقة وأثاثها باسمى، ولا أريد مالاً ولا جاهًا ولا أطلب من متاع الدنيا سوى ما يعيننى على مواصلة رحلة الحياة، حتى يقضى الله أمرًا كان مفعولاً.

نعم .. لا أطلب إلا رجلاً يتقى الله فىَّ ويعاملنى معاملة الإسلام ..

ولكننى ممن يلازمهم سوء الحظ، وأستغفر الله على هذه الكلمة، فكل شىء بيد الله سبحانه وتعالى، والزواج نصيب من عند الله وقدرًا مُقَدَّرًا.

وما زلت إلى الآن أنتظر نصيبى وقدرى وحقى فى هذه الحياة، ولم أيأس أو أقنط من رحمة الله، ففرج الله قريب قريب.

(*) من بريد الجمعة للأستاذ عبد الوهاب مطاوع ـ عدد ٢٦ /١١/ ١٩٩٩ (بتصرف).

وأحمد الله تعالى أننى إنسانة متفائلة ومُقبلة على الحياة بحلوها ومُرّها، وراضية وقانعة بما قَسَمَهُ الله لى.

أتمنى أن تعرف كل فتاة من بنات جنسى أنها تكون مخطئة فى تفكيرها، ومغالية فى مواصفاتها، إذا نظرت لمواصفات فارس أحلامها بعيدًا عن الدّينِ وحُسن الخُلق، وصدق رسولنا صلى الله عليه وسلم إذ يقول:

"إذا جَاءَكُم من تَرْضَوْنَ دِينَهُ وخُلُقَهُ فَزَوّجُوهُ .....".

رسالة فتاة إلى كل فتاة

قبل أن يصيبها حريق الزواج العرفى:

إننى أعلم أن الندم لا ينفع الآن، ولكن ماذا يمكننى أن أعمل؟ ... إننى أُقدم الآن تجربتى لتكون عظة لغيرى.

دعينى أُخبرك بكل الحقائق، وسوف أحاول أن أجعل كلماتى محاطة بالأدب، فإنَّ وَحْلَ ما يُسمى بـ"الزواج العرفى " لا يعرف الأدب .. إنه محاط بالكذب والخداع والكلمات المعسولة، والتى سرعان ما تتكشف حقائقها بعد أن تدفع الفتاة أغلى ما تملك، وتصير لعبة يُعبث بها.

إن طريق الانحراف بدأ بالكلمات المعسولة: أحبك .. أنت إنسانة رقيقة المشاعر .. ذوقك جميل ورائع .. أنا معجب ومفتون بك .. أنت الإنسانة التى يتمناها قلبى ... وغيرها من كلمات تحلّق بها إلى آفاق لا يُعرف مداها من الافتتان والهيام والعشق ... بالإضافة إلى التحدث عن الحرية والتحضر، والسخرية من القيم والأخلاق المتعارف عليها، وبيان أن السعادة بالانطلاق نحو المرح والضحك، والتفاخر والتسابق نحو ارتداء الملابس الضيقة أو المكشوفة، والاختلاط السافر، والتحادث بكلمات خارجة عن أصول الأدب والأخلاقيات.

وأهم ما يدور فى ذهن الفتاة دائمًا أنها تستطيع أن تحمى نفسها فى أى وقت وفى أى مكان .. ومن ثم السخرية من الفتاة التى لاتُخالط الشباب.. يساعدها فى ذلك ما تبثه وسائل الإعلام من أفكار وقيم خاطئة، رسخت فى العقول من خلال الأفلام

والمسلسلات بوجه خاص، مثال ما تدور حوله من أفلام عن فتاة هربت من أهلها ونزلت عند شاب أو أكثر غير متزوجين، وعاشت معهم دون أن يحدث أى ضرر ... أو أفلام تدور حول شاب وفتاة يسافران معًا هنا وهناك، وكل شىء على ما يرام، مع إظهار مدى السعادة فى الرحلات المختلطة.

نعم ... إن لى صديقات سقطن فى هوة الفساد السرى .. وهذا هو الاسم الحقيقى للزواج العرفى الآن .. وكل واحدة منهن أخذت تبرر لنفسها ما وصلت إليه، مثل تلك التى تقول: "أبى مشغول وأمى مشغولة وليس بينهما انسجام، ولم أشعر فى البيت بالوُدّ والحنان، فوقعتُ فريسة" .. وأخرى تقول: "إن الثقة الزائدة من الأسرة هى السبب، فكلما أراد والدى السؤال عن أحوالى، قالت أمى: هى ابنتى وأنا أعرفها".

.. وثالثة والدها ووالدتها فى الخارج، ولما انتهت من المرحلة الثانوية والتحقت بالجامعة مكثت عند خالتها المشغولة بأولادها وشئون بيتها، فكانت ضحية صحبة السوء ..

وهكذا أسباب كثيرة تحاول كل واحدة أن تبرر لنفسها ما وصلت إليه، ولعلك تسألينني وأنتِ .. ماذا عنكِ؟

أقول لكِ بكل صدق: لا أجد لنفسى سببًا لما وصلتُ إليه، ولكن كلماته المعسولة المنمقة، والهمسات والنظرات الحائرة، وتزيين زميلة لى كانت قد سبقتنى إلى هذا المنحدر .. ومع ما صدر منه من اهتمام بى، مثل كتابة المحاضرات لى، والظهور بالحرص عَلَى مستقبلى، بجانب الحرص عَلَى سُمعتى وكرامتى .. بسبب هذا كله بدأ اللقاء بعيدًا عن العيون، وخصوصًا أنه ظل يتحدث عن كونه لايستطيع أن يعيش دونى، وأن الحياة كلها مظلمة إذا افتقدنى .. وأنه كم كان يتمنى ويتمنى، ولكن لو ذهب إلى أهلى لرفضوه، وتعليلات وتبريرات أوصلتنى إلى أنه لا حَلَّ إلا بالزواج العرفى.

نعم ... لا أستطيع أن أكشف أكثر من ذلك، فقد أخذتُ على نفسى العهد بالالتزام بالأدب .. ولكنى أقول: إن الفتاة لو فرطت فى نفسها بمجرد الرغبة فى سماع كلمات المدح والحب من الشاب، كانت على أول طريق الانحدار ... أما إذا

سمحت له بمجرد "القُبلة" فقد أوردتْ نفسها فى التهلكة، فإن نار الغريزة لا تنطفىء، بل تزداد اشتعالاً كلما اقترنا منها.

أجل ... شىء عجيبٌ، كأن السحر فى عينيه، وفى كلماته المعسولة المنمقة، والتدرج فى الخطوات نحوى، وإيجاد الحل لكل مشكلة عندى، والرد على كل استفسار، والحرص على أن يتعامل معى كعازف يُلاعب الأوتار الخفية فى نفسى، حتى حَدَثَ ما حدث، وعشتُ الوهمَ تحت اسم "الزواج العرفى" فى حفلة صنعها له زملاء الطريق.

أين عقلى؟

هكذا تساءلت .. كيف ضاع من ذهنى المتعة بالثوب الأبيض والطرحة البيضاء، وأنا فخورة أمام كل الناس؟!

أين المتعة بالذهاب مع أمى وإخوتى نشترى أو نجهز للفرح؟ وغير ذلك كثير .... صحيح .. قد يستطيع هؤلاء الشياطين أن يجهزوا للفتاة ثوبًا أبيض وآلات موسيقية؛ لإضفاء مناخ المرح والسعادة على الحفل ليلة عقد الزواج العرفى، ولكن هل تستطيع الفتاة أن تتكلم بين الناس؟ .. سؤال بسيط لو أجبنا عنه لانتهت كثير من المشاكل.

المهم بعد ورقة الزواج العرفى بدأت نغمة جديدة: "أنا زوجك، وهذا حقى الشرعى، لا تحرمينى حتى لا تكونى سببًا فى فتنتى".

وبدأ يستخدم بعض الألفاظ، والعبارات الشرعية ـ مع أنه لا يصلى ـ مثل: لا يحل للزوجة أن تمنع نفسها من زوجها وإلا باتت والملائكة تلعنها.

ومن منطلق أنا زوجك، ذهبنا هنا وهناك.. الحجرات المفروشة، أو شقة زميل مسافر ... ومع أحاديث العشق والغرام وتبسيط الأمور قُضِىَ الأمر، ولم أَعُدْ "آنِسَةً" كما يقال بعد أن وقع المحظور.

ومن وقتها عشت الوهم الظاهرى فى البداية والحزن داخلى، فمن حينها لا أملك سوى الخضوع لإرادته، ولم أعد قادرة على المواجهة.

وعمومًا فحالى لا يمكن وصفه .. ماذا يمكننى أن أقول بعد أن لَوَّثْتُ شرفى وشرف الأسرة؟ .. هل شاهدنى أَحَدٌ يومًا وأُخْبِرَ بحالى؟.... ولكن قبل أن أنتهى من رسالتى، أتوجه برسالتى إلى كل أُمٍّ فأقول:

لا تتخذى من نفسكِ ستارًا لكل أخطاء ابنتك، حتى لو كانت صغيرة، فتتعوَّد ذلك، فتقع فى الكبيرة، بل ناقشى كل مشكلة مع والدها .. وتابعِى ابنتكِ: مع مَنْ تُذاكر؟ .. وأين تذهب؟ .. ولماذا تأخرت؟

ثم أعود إلى كل فتاة فأقول لها .. لعل فى كلماتى نصيحة:

- كيف يسمونه زواجًا عرفيًا؟ .. ربما قيل: لأن الناسَ جميعًا قد تعارفوا عليه، وتعارفوا على قبوله، لكن الحقيقة غير ذلك، فالناس تكرهه، ونحن نكرهه والأهل بريئون منه، وأكبر دليل على أنه غير عُرفى أننا نـتخفى به من الناس.

إذًا .. هو ليس عرفيًا، بل هو سِرّىٌّ.

- بل كيف يسمونه زواجا؟

هل رأيتِ زوجةً لا تُخبر الناس باسم زوجها؟

هل رأيت زوجةً تقابل زوجها خلف كافتيريا الكلية، أو فى أماكن بعيدة مهجورة أو فى شقة زميل مسافر؟ ... لا تصدقى أنه زواجٌ، بل هو فساد.

نعم .. كيف يسمونه زواجا؟ .. إن الزواج هدفه إقامة أُسرة مترابطة .. أما الذين يلجأون إليه فَهُم لا يستطيعون أن يعلنوا عن أنفسهم وأُسرتهم الممزقة.

إن كُلَّ زوجين تكون أسعد أيامهما حين يتم حَمْلٌ ... أما فى حالتنا هذه فالتعاسة والندامة والحزن إذا تم الحمل، بل عادة تزداد المشاكل مع أول الحمل، حيث تبدأ الفتاة رحلة الفضيحة والعذاب.

- إذًا .. ما حقيقة ما نحن فيه؟

إنه فسادٌ سِرّىٌّ يتم باسم الزواج العُرفى .. إنها شهوة نسعى لإشباعها .. إنُ كُلاً من الشاب والفتاة يسعيان ليُطْفِئَا ما فى جسدهما من شهوة، وبعد ذلك فلا قيمة للفتاة.

ألم تتساءلِى : ماذا يقول الشبابُ عنا؟

إنهم يقولون: لماذا لا تكون قد فعلتْ ذلك مع أحدٍ غيره من قَبْلِهِ؟

أو : لماذا لا تفعل هذا مع غَيْرِهِ الآن؟

أين الميثاق الغليظ الذى أشار إليه القرآن الكريم بقوله :

﴿ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴾[1]؟ وأين المودَّة والرحمة؟ .. وأين السَّكن فى زواج لا يشهده ولىُّ الفتاة ولا يُعْلَنُ للكافة؟! وأين تقوى الله فى هذا الزواج الذى يُـتَـخْفَى به من الأهل ومن الناس؟

أيتها الفتاة .. اسمعيها منى: **لا** تصدقى كلمة" أُحبك" من أحد إلا إذا كان زوجك .. لا تصدقى كلمات المدح والغَزَل، فإنها طريق الخداع والتهلكة.

أختاه .. لأن تعيشى بلا زواج أفضل من أن تكونى ضحية زواج سِرِّىَ يُسمى بـ"الزواج العرفى" .. نعم ... اسمعينى قبل أن تندمى ... اسمعيها منى ولا داعى لكثرة التبريرات، فأنتِ الضحية، وأنتِ الذبيحة .. ضحية جهلكِ بِدينكِ وبُعْدِكِ عنه.

وفى النهاية .. أتمنى أن تكون رسالتى هذه عظة لكِ ولغيرك .. وليحمنا الله من مهالك نحن فى غِنًى عنها.

❑ ❑ ❑

المضربات عن الزواج انتظارًا لعريس "جاهز من كل شىء":

بعثت برسالة تقول فيها :

ابنتى ترفض الزواج، وتشترط فى الزوج شروطًا قد لا تتوافر فى الكثيرين ممن يتقدمون لها، مثل المنصب، أو الثراء، أو ... أو ... إلخ.

وأخشى أن يفوتها القطار وتنضم إلى طابور العانسات ... هل من نصيحة لابنتى وغيرها مِنَ المُضْرِبَاتِ عن الزواج حتى تتحقق لهنَّ شروطهن؟

الرد:

أقول لابنتكِ هذه، ولغيرها من المضربات عن الزواج بدعوى الانتظار "لعريس تفصيل" حسب مزاجهن، ووفق أحلامهن ... أقول لهن: فُقْنَ من نومكن،

---

(١) سورة النساء : ٢١.

واستيقظن من أحلامكن، واستشعرن الخطر، ولا تنتظرن خيرًا من هذا العبث واللهو وضياع أسعد فرصة فى حياتكن، فإذا فاتكن قطار الزواج اليوم، فلن تَسْتَطِعْنَ إدراكه إلا بعد فوات الأوان، وساعتها لا ينفع الندم.

إن الإضرابَ عن الزواج والتعلُّق بأوهامِ انتظارِ عريسٍ جاهز وكامل من كل شىء أمرٌ خطير .. وخطره على الفتيات أشد.

صحيح أنَّ حُسن الاختيار بالنسبة للزواج أمر مطلوب دينًا وشرعًا وُعرفًا، وفى مقدمة ذلك أن يكون الزوجُ متدينًا، وكُفْئًا، وذا خُلُق، وعلى جانب من الورع والتقوى والرجولة بالنسبة للرجل .... وأن تكون الزوجة متدينة، وذات خُلُق قويم.

فإذا تحقق ذلك بعد التحريات والخطبة، فالإسراع فى الزواج ـ دون خوف أو تردد ـ أمر مطلوب ..

وعلينا محاربة ظاهرة "العنوسة"، تلك الظاهرة المرضية التى انتشرت واستشرت فى مجتمعاتنا، والتى لا تمتُّ إلى ديننا بِصِلَة، لأن شريعتنا تدعو إلى الزواج المبكر، عملاً بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"إذا أتاكُم مَنْ ترضون خُلُقَهُ ودينه فزوّجُوهُ، إلاَّ تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير".

إن الله تعالى قد أمر الشبابَ ـ ذكرًا أو أُنثى ـ بالزواج، ووعدهم بالرزق الواسع، فيقول فى كتابه الحكيم:

﴿ وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ ﴾ (١)

ويقول رسولنا صلى الله عليه وسلم: "التمسوا الرزق بالنكاح"، أى: بالزواج.

وللأسف أن هذه العنوسة التى تفشى فى مجتمعاتنا حاليًا سببها يرجع إلى كثير من الفتيات اللاتى يَضَعْنَ مواصفاتٍ وشروطًا خاصة مُغَالًى فيها لفارس أحلامهن،

---

(١) سورة النور: ٣٢

ولا يقبلن الزواج إلا لمن تتوافر فيه تلك الشروط، خاصة إذا كانت الفتاة جميلة ـ وهذا أمر غير واقع فالكمال لله وحده، والجمال والشباب والصحة والمال... كل ذلك لا يدوم .... ومَنْ تَتَعَالى على الزواج من شاب اليوم فقد يرفضها غدًا حين يطول انتظارها لعريس الأحلام.

كما أن الأب أو الأم أو الأهل قد يكونون سببًا لعنوسة الفتاة حين يغالون فى المهر وتكاليف التجهيز، ويرفضون الحلول الوسط، أو مساعدة الشاب على تأسيس عش الزوجية.. إنَّ رَفْضَهُم الزوجَ المناسب اليوم طمعًا فى الحصول لابنتهم على من هو أغْنَى أو أكبر منصبًا، يجعل زواج ابنتهم صفقة تجارية تتنافى مع مقاصد الزواج الشرعية.

إن تلك النظرة من حُب المظاهر، والتفاخر بالمهر الكبير، والأثاث الفاخر، والسيارة الفارهة تؤدى إلى تأخير الزواج، وانتشار العنوسة التى تُسبب الفتن والانحراف والانحلال..

ونصيحتى إلى ابنتكِ وإلى سائر الفتيات: أنْ يَكُنَّ واقعيات، وأن يَرْضَيْنَ بما قَسَمَ الله لَهُنّ ما دام هذا الخاطب متدينًا يرعى الله فى نفسه وزوجته، ولا يعيبه شىء، حتى ولو كان فقيرًا، أو فى بدء حياته الوظيفية، فالمستقبل أمامه مُتَّسعٌ، والإسراع فى الزواج للقادر أمر مطلوب دينًا وخُلُقًا وعُرفًا(*).

❑ ❑ ❑

تجربة مريرة نسوقها للفتاة التى تحلم بالثراء السريع:

قالت:

نشأتُ فى أُسرة كبيرة تتكون من ثلاث بنات وولدين، وأبى الذى يعمل تاجرًا للخضراوات بعد جمعها من أرضنا، وأمى التى تقوم برعايتنا والسهر علينا حتى تطمئن على راحتنا ... وكنا قانعين برزقنا نساعد أبى، ونرضى بما قَسَمَ الله لنا، وكنتُ مجتهدةً فى دراستى، وحصلتُ على دبلوم التجارة الثانوية .. وفى أحد الأيام

(*) أجاب عن هذه الرسالة الشيخ موسى صالح شرف من علماء الأزهر.

زارنا فى المساء رجلٌ من أهل بلدتنا، واختلى بوالدى، واستمر الحديث بينهما فترة طويلة، بعدها استدعى أُمّى لتنضم للحديث معهما ... ثم لم يلبث أن انصرف الرجل، ولم يخطر ببالى لحظة واحدة أن الحديث عن خطبتى لأحد الأثرياء، فقد كان هذا الرجل "سمسارًا" يزوج الفتيات للأثرياء الذين دَبَّ ضَعْفُ الشيخوخة فى أوصال جسدهم ... وفوجئت بأمى تبارك لى هذا العريس الذى جاء من بلده ليخطفنى على حصانه الهزيل، بعد أن أخذتْ أمى تشرح لى مقدار السعادة، ومظاهر الرفاهية والثراء التى سَأَنْعَمُ بها، وأن هذا العريس لن يكلفنا شيئًا، وسوف يكون هو "فانوس علاء الدين السحرى" الذى سوف ينقل الأسرة كلها إلى عالم الثراء.

ولا أُخفى عليك أن كلمات أمى لاقت ترحيبًا فى نفسى .. وتساءلت فى نفسى: لماذا لا أتزوج هذا الرجل الذى سوف يُغدق علىَّ من أنواع النعم ما لا يُعَدُّ ولا يُحْصَى، بجانب أننى سوف أُسْعِدُ إخوتى وأبى وأمى .... ودارت بى الدنيا، ولم أتاخر لحظة فى إعلان موافقتى وأسرع أبى إلى الرجل "السمسار" ليخبره بموافقتى، ويدعو العريس لزيارتنا غدًا ... وظلت أُسرتى تنتظر بلهفة هذا الغد الذى سوف يحمل لنا السعادة والثراء ... وجاء الغد المنتظر، وليته ما جاء" .... أتى الرجل "السمسار" وبصحبته أطلال رجلٍ تَرَكَ الزمانُ بصماته عليه، وشعرتُ بالدنيا تدور بى .. أيكون هذا زوجًا لى وأنا الفتاة الجميلة التى يتمناها كل الشباب .. ودخلتُ غرفتى وأخذتُ أبكى بكاءً مريرًا. ورغم ذلك جاء أبى بصحبة أُمى يطلبان منى مقابلة العريس حتى يُعاين "البضاعة" ... ورفضتُ، ولكن أمى اتهمتنى بالجنون، كيف أُضيع هذه الفرصة الثمينة ... وَأَخَذَتْ تهمس فى أذنى: إنه لن يُكمل عامًا أو عامين بعدها أكون الوريثة له، وأنتقل إلى عالم المحظوظين الأثرياء ...

وتحت إلحاح الإغراء وافقتُ .. وتمت الصفقة بعد أن قبض والدى ثلاثين ألف جنيه، بخلاف الهدايا التى أَغْدَقَهَا علينا جميعًا.

وتم الزواج.. واصطحبنى ما يُسَمَّى بالعريس إلى أحد فنادق القاهرة استعدادًا لترحيلى إلى بلده .. وفى الفندق استطاع - بعد الاستعانة بشتى أنواع الأدوية والمقويات - أن يحوِّلَنى من عذراء إلى امرأة، بعد أن فشل كثيرًا ليعطينى حقى كامرأة .. وسافرتُ معه، وكانت المفاجأة: بيت واسع يجمع فيه ثلاث زوجات ولكل زوجة عدد كبير من الأبناء، بعضهم يكبرنى سنًّا.

وسألت نفسى: ماذا يمكن أن أفعله وسط هذا الحشد الكبير ... وكيف أواجه كُلاً منهم؟ .... لقد كانت نظراتهم تقتلنى .. وعبارات التهكم والسخرية كانت تذبحنى.

أخذتُ أَتَنَهَّدُ بِحُرْقَةٍ شديدة بعد أن اكتشفت زَيْفَ الثراء ... فالأموال التى دفعها لوالدى وأنفق علىَّ منها كانت قرضًا من البنك ..

نعم .. اكتشفتُ أننى خُدِعْتُ، ولم تتضح لى حقيقة الأمر إلا بعد أن ضاع منى كل شىء، وأصبحت خادمة لكل من فى البيت .. والكل يأمر وعلىَّ أن أُطيع، حتى حقوقى الزوجية لم يعد يستطيع أن يلبيها ولو مرة واحدة.

كل من فى البيت يعايرنى بأننى قد بِعْتُ نفسى رخيصة وأنه لا أهل لى .. وتحملت كل صنوف الجحيم لمدة ثلاثة أشهر، بعدها لم يَعُدْ لى قدرةً على الاحتمال ولو يومًا واحدًا. وطلبتُ منه الطلاق، فرفض .. هَدَّدْتُه بالقتل .. وادَّعَيْتُ الجنونَ، وقلتُ له: سأخُونك مع أبنائك .. بل مع كل الناس .. الجميع كانوا يضربوننى، حتى أبناؤه الصغار .. وعندما لم يجد مفرًّا طَلَّقَنِى بعد أن ساعدنى فى ذلك أبناءُ الحلال من المصريين العاملين فى هذا البلد، وجمعوا لى ثمن تذكرة الطيران لأعود إلى بلدى ذليلةً بعد أن فقدت كل شىء.

ثم اختتمت حديثها والعبرات تسيل من مآقيها غزيرة وهى تقول:

إننى أعلم أن مشكلتى ليس لها حَلٌّ، ولكنْ قُلْتُ تجربتى المريرة لكل فتاة تحلم بالثراء الزائف السريع، خوفًا من أن يَحْدُثَ لها مثلما حدث لى ... وأقول للوالدين اللَّذَيْن يبيعان ابنتهما للرجل الغريب ـ مهما كان وضعه ـ من أجل حفْنَة من الدولارات: هل هانت عليكم ابنتكم حتى تتركوها فى مهب الريح للكلاب الضالة تنهش لحمها فى صورة زواج متعة؟!

إننى أقول لكل فتاة، ولكل الآباء والأُمهات الذين يعتقدون أن السعادة ليس لها طريق سوى المال: إن زواج الفتاة من ابن بلدها ـ ولو كان فقيرًا ـ خَيْرٌ من زواجها من مليادير لا يعرف من دنياه سوى شهواته ونزواته ... وسامح الله الجميع.

❑ ❑ ❑

صرخة فتاة عانس:

كثيرًا ما ترفض الفتاة أو أهلها من يتقدمون لخطبتها لأنه لا يمتلك قيمة المهر المطلوب، أو ليس عنده ما يؤهله للزواج، من تأثيث منزل مناسب يليق بها، أو نظرتهم إليه بأنه "غير جاهز فى مجموعه" على حد زعمهم ... بل قد تذهب الفتاة وأهلها إلى النظر في عُيوبه الْخِلْقِيَّة ككونه قصيرًا أو بدينًا، أو ذا صَلْعَة أو ما شابه ذلك من سِمَات خِلْقية أكثر مما ينظر إلى صفاته الشخصية وسماته الأَخْلاَقية، طالما كان ثريًّا غنيًّا فالزواج يصلح ما شَابَهُ من سُلوكيات وأخلاق .. أى يجدون المبرر والعذر طالما ينعم بالإمكانات المادية المرتفعة.

ومن الغريب أنه غالبًا ما يكون رَفْضُ من يتقدم لخطبة الفتاة هم أهلها، بحجة أنهم يعرفون مصلحتها، وأنها مازالت صغيرة لا تعقل أمور الدنيا ومتطلباتها، وتكون النتيجة أن تتأخر خطبة الفتاة سنوات طويلة حتى تصير فى العُرف الاجتماعى "عانسًا" ... وهذا ما يجعلنا ـ دومًا ـ نهيب بأهل الفتاة أن يتسامحوا بقدر المستطاع فى شروطهم المادية ويجعلوها سهلةً ميسورةً على الوجه، الذى يجعل الشاب يقدم على الزواج.

ولو يعلم أهل الفتاة التى تأخر زواجها ما تعانيه من آلام نفسية ما تَعَنَّتُوا فى شروطهم المجحفة ... وهذا ما يتبين ونحن نستعرض اعترافات "فتاة عانس" .. تقول الفتاة:

أنا اليوم حزينة جدًّا، برغم أنه يوم زفاف ابنة خالتى، والفرح يزين وجوه كل أفراد الأسرة، إلاَّ أُمّى، التى تبتسم ـ بحكم القرابة فقط ـ ولكنى أعلم أن قلبها يحترق حُزْنًا علىَّ .... فأمى ترى أنى أحلى بنات العائلة، بل أحلى بنت فى الدنيا، وأعرف أنها تشعر بتأنيب الضمير، وإن كانت لا تُعلنه، لأنها تُحَمّل نفسها مسئولية عدم زواجى، حتى تخطيت الآن سن الثلاثين بشهور قليلة، ولكنها كعادتها تردد:

"والله أنتِ خسارة فى أىّ رجل، ولن أعطيكِ إلا لرجل يعرف قيمتك".

إن قيمتى فى نظر أمى هى رجل "مليان"، أى ثرى جدًّا، يزننى بالذهب"، ولم أَدْرِ حتى الآن أى ميزان هذا الذى سَأُوضَعُ عليه، بعد أن أصبحت "كالدّبَّة"، حرصًا من أمى على زيادة كمية الذهب!

المهم أنا فى حيرة شديدة .. فيجب أن أذهب اليوم إلى عُرْسِ ابنة خالتى، وهذا يعنى محاصرتى بأسئلة وعيون الناس: "هى الحلوة متجوزتش لغاية دلوقتى ليه؟" .. "أخبار العرسان إيه؟؟" .. "ربنا يعوض صبرك خير" .. "عقبالك ياحبيبتى .. " .. وغيرها من الكلمات والعبارات التى تمزق صدرى وتدفعنى إلى الهرب من الجميع .. نعم .. الهرب الذى اعتدتُه من سنوات .. فقد تركتُ جلسات الأهل والصديقات اللاتى تَجْمَعُهُنَّ أحاديث الأحياء، والخُطَّاب، وأحلام الزواج... فأنا بينهن غريبة ... فتاة فاتنى القطار، ليس من حقى أن أتمنى وأحلم ... علىَّ الآن فقط انتظار من لا يجىء ... وبالطبع أى رجل يأتى هو فرصة علىَّ انتهازها، لأن مجتمعى يعتبر أن الفتاة التى تخطَّتْ سن العشرين دون زواج أو خطبة "عانس" ... تلك الكلمة التى تعذبنى فى عيون الناس، واسمعها على لِسَانِ أمى وهى تندب حَظِّى لأبى.

اليوم أنا مضطرة لمواجهة كل هذا، والهروب مستحيل، وإلا سيكون الكلام أكثر وأكثر، وإلاَّ لماذا غِبْتُ عن فرح ابنة خالتى؟!

كما أن اليوم ـ من وجهة نظر أمى ـ فرصة لتجمُّع العرسان، وربما رآنى هذا الذى لا يأتى فيبهره جمالى ويزننى بالذهب ويتحقق حلم أمى الضائع .... أما حلمى الآن فقد فَقَدْتُهُ منذ سنوات .. وفقدتُ حتى حق التفكير فيه.

تراودنى فكرة مجنونة تصرخ فى داخلى، وترى أن اليوم مناسب جدًّا للثورة على نفسى وعلى كل الناس، ولن أجد فرصة أفضل من هذا التجمع ..... كل ما علىَّ أن أنتهز فرصة أول كلمة رثاء أو مواساة من أى أحد فى الفرحة حتى أصرخ وأقول للجميع:

ما شأنكم بى .... أنا لستُ "عانسًا"، وليس ذنبى أننى لم أُطْرَحْ فى سوق الرجال بشكل مثير وجَذَّاب ... لقد أُدخلت كلية البنات، وتربيتُ على أنه من الخطأ التحدُّث إلى الشباب أو الظهور أمامهم.

أجل .. لم أعرف فى حياتى شابًّا واحدًا ... كنت أنتظر هذا الذى رسمتُه فى خيالى، يأخذنى إلى بيته الصغير، نبنى أحلامنا مع أطفالنا الصغار، ولكنه لم يأتِ ... تخرجتُ فى الجامعة، ورَفَضتْ أُسرتى أن ألتحق بأى عمل "مستورة والحمد لله" ـ

كما كان يقول أبى دائمًا ـ "وَعَدَلِي" لابد أنه آتٍ حتى الباب، فأنا من أُسرة معروفة، وجمالى يشيد به الجميع، هذا عدا أخلاقى وتربيتى، فما الذى ينقصنى إذًا؟!

ولم أنتظر طويلاً، لقد جاء العرسان تباعًا، ولكن أحلام أمى كانت تصدمهم دائمًا، فكلهم شباب يبدأون حياتهم، وليس فى مقدرتهم دفع مهرٍ كبير، أو تأثيث منزل مناسب يليق "بست البنات" .... حتى المرة التى جاء فيها عريس "مريّش" معه وزنه فلوس، كان الرفض فى عيون الجميع قبل أن أنطق به، ويكفيه ـ عَدَا سنوات عمره الخمسين ـ "كرشُه" الممتد أمامه، وصلعته الذهبية اللامعة.

وهأنذا الآن أمامكم، ضحيتكم أنتم وأمى .. لقد هرب الشبان بعد أن انتشر بينهم مغالاة أهلى فى طلباتهم، ومن ثم خَشِيَ الشبابُ من رفضهم فصرت ـ كما تقولون ـ "عانسًا".

كم أتمنى الزواج !! هذه هى أُمنيتى، ولابد من تنفيذها حتى يرتاح بالى وأزيح عن نفسى عبئًا لم أعد قادرة على حَمْلِهِ، وَلْيَحْدُثْ ما يحدث، لابد أن أكون ـ ولو لمرة واحدة ـ واضحة وصريحة مع نفسى ومع الناس ... ولكن كيف أتزوج؟

....

....

.... لا أعرف.

الساعة الواحدة من صباح اليوم التالى ..

لقد عُدْتُ الآن من الفرَح بعد أن تسللتُ دون أن يشعر بى أحد من الأهل والمعازيم .. لم أستطع أن أُنَفِّذَ أى شىء مما قررتُه .. لقد دَمَّرَتْنِى ألسنة وعيون الناس قبل أن أنطق بكلمة، فانسحبتُ بعد أن تأكدت فى داخلى أننى "عانس"!!

❑ ❑ ❑

لا تجعلى من نفسك سلعة رخيصة:

لكل فتاة تعتقد أن باستجابتها للكلام المعسول وللمطاردات ستدفع الشباب للزواج بها ... كلا ، فالشاب يختار من لا تستسلم له ، ولا يجد لها طريقًا إلا الدخول من الأبواب ... تلك تجربة تعكس ما أنصح به دائمًا كل فتاة ، تقول صاحبة التجربة :

أريدُ أن أتحدث لكِ عن تجربتى لتكون عبرة لأى فتاة تفكر فى رفع سماعة التليفون لتتسلى ، أو تتجول فى الأسواق والأماكن العامة بحثا عن الزوج المناسب كما تتوهم .. فأنا فتاة أبلغ من العمر الآن ٢١ عامًا .. منذ صغرى كنت ألعب مع ابن الجيران ، وكنا نلهو وندرس معًا إلى أن بلغنا مرحلة المراهقة ، فامتنعتُ عن الذهاب إلى بيتهم ، وهو كذلك ، وأصبحت لقاءاتنا بالمصادفة فقط ، وظللنا صديقين .. ومع التطور الذى حَدَثَ ـ وهو فى السابعة عشرة ـ أفصح لى بأنه يحبنى ، ولكن لم أَرُدَّ عليه بأى شيء ، لأنى أعرف من البداية أنه لا يوجد شيء يُسمى الحب فى المراهقة ، وإنما هى مجرد مشاعر طبيعية عابرة يمر بها كل فتى وفتاة.

وكبرتُ ، وأنا أنتظر ابن الحلال ، مثلى مثل أى بنت فى سِنِّى :

وطبعًا طوال هذه المدة كان يتقدم لى الكثير ، ولكنهم كانوا لا يناسبوننى وأنا لا أناسبهم.. فأنا أُريد شابًا ملتزمًا يعرف كيف يحافظ علىّ ، شابًا مثقفًا يناسبنى من ناحية السن ... وأما هو فكان يلح علىَّ أن يقابلنى أو يكلمنى ، وكان يحاول مرارًا الاتصال بى تليفونيًا ، وكنت أقفل السَّمَّاعة فى وجهه ، وكان يرسل لى العشرات من الرسائل ، وفى بعض الأحيان كنت أَثُورُ عليه وأُسْمِعُهُ الكلامَ "الذى يسمُّ البدن" ، ومع ذلك لم يرتدعْ ، بل جعله هذا يتمسك بى أكثر.

وفى الحقيقة ـ أنا لا أخفى عليكِ ـ أننى قد أحببتُه بكل معنى الكلمة ، ولكنى فى الوقت نفسه لا أُريد تكوين أى علاقة بيننا ، لأن ديننا الحنيف لا يسمح بذلك ، وبحكم العادات والتقاليد أيضًا.

وانظُرى ماذا كانت النتيجة؟ ..

بعد كل هذه المحاولات عرفَ أننى لستُ بالفريسة السهلة، التى تُلْقِى بنفسها فى أحضان أى شاب يبثها كلامه المعسول، أو يجرى وراءها بسيارته ...

عرف باب بيتنا وطلبنى من أبى ..أتعرفين ماذا قال لى؟

لقد فكرتُ فى كل تصرفاتكِ معى، وعرفتُ أنكِ المرأة التى سوف تحفظ وتصون نفسها فى حُضورى وغيابى، وها نحن الآن أسعد زوجين فى هذا الكون، أبثه حبى وغرامى لأنه أصبح من حقه فقط.

ولذا أقول لكل فتاة: أنصحكِ نصيحة أُخْتٍ لأختها التى تحبها وتخاف عليها: "احتفظى بنفسكِ وكرامتكِ دائمًا، ولا تجعلى من نفسك سلعةً رخيصة، وتمسكى بدينك الحنيف، فإنه الخلاص، والحافظ لنا من كل شرٍّ فى الدنيا والآخرة.

عندما يشك زوجى فى عذريتى ليلة الزفاف

... ماذا أفعل؟

أسوق هذا الاعتراف ليتقى اللهَ الأزواج الذين يشكُّون فى عذرية زوجاتهم ليلة الزفاف، وفى الوقت ذاته لتعلم الفتيات كيف يَتَسَنَّى الردُّ فى مثل هذا الموقف العصيب؟...... وليتبين لنا قبل وبعد كل شىء مدى أهمية الثقافة العلمية، والتى ينبثق منها الثقافة الجنسية والبيولوجية: ..... تقول صاحبة الاعتراف:

أنا فتاة فى السابعة والعشرين من عمرى ـ يتيمة الأب، وليس لى فى هذه الدنيا سوى أمى وأختين أكبر منى، متزوِّجتين، وكل واحدة منهما فى بلد عربى حيث يعمل زوجها.

أبى ـ يرحمه الله ـ توفى منذ عشرين عامًا، وتركنا نحن البنات الثلاث فى كنف والدتى، وليس لنا أعمام أو أخوال.

وقد ربتنا والدتى تربية دينية صالحة، وغرزت فينا الأخلاق الحميدة، ولم تسمح لنا بالاختلاط، ولا بالذهاب إلى النوادى ولا زيارة الأصدقاء .. ولم يكن فى حياتى سوى الذهاب إلى المدرسة، أو الجامعة، أو العمل والعودة فورًا إلى المنزل حتى صباح اليوم التالى، ويشهد على أخلاقى كل زملائى ورؤسائى فى الشركة التى أعمل بها منذ تخرجى فى الجامعة منذ خمس سنوات.

وتمر الأيام ويتقدم لى شاب فى الرابعة والثلاثين من عمره، ومركزه مرموق ... وبما أنه ليس لى فى الدنيا أحد فقد استشارت والدتى الجيران والمعارف، فأكدوا لها أنه شاب صالح ومتدين، فوافقت أمى، وبالتالى وَافَقْتُ أنا، وتم عقد القران .. ويومها صارحنى زوجى بأنه كان يراقبنى منذ سنة تقريبًا. وأنه قد تأكد من حُسْن أخلاقى وأصلى الطيب، وأنه قد أحبنى من أول نظرة، لجمالى وهدوئى وأخلاقى على حد قوله .. المهم أنه خلال فترة عقد القران أُعْجِبْتُ به، ولكن لم أصل إلى مرتبة الحب والعشق، وفى الوقت نفسه لم أسمح له بأية تجاوزات من أى نوع، حتى تم زفافى.

ثم تصمت برهة لتستطرد قائلة فى أَسًى:

لم يكن عندى أى خبرة من أى نوع عن ليلة الزفاف، حتى أخبرنى زوجى أننى لم أكن بنتًا عذراء، ثم انهال علىَّ ضربًا شديدًا حتى أَعْتِرَفَ باسم المعتدِى ، ولم أكن أعرف بأى شىء أعترف.

وفى الصباح أمرنى بألاَّ أقول لوالدتى أى شىء لو سَأَلَتْنِي، ولكن أمى قد لاحظت شُحوبى وبكائى، ولكنى لم أخبرها بشىء إلا بعد أسبوع من الزفاف، حين لاَحَظَتْ ذُبولى وسوء صحتى.

ولم تلبث أن تنفجر فى البكاء وتجهش، وهى تقول:

ولَكَ أن تتخيَّلَ ماذا حدث فى هذا الأسبوع من ضرب وإهانة !!

وتتوقف برهة لتجفف وجهها من الدموع التى غسلتها لتقول بعدها:

لقد كلَّمتْهُ والدتى، وأقنعته بضرورة الذهاب إلى أى طبيبة أو طبيب يختاره هو .... وبالفعل ذهبنا إلى الطبيب الذى اختاره، فأكد له أن غشاء بكارتى من النوع المطاطى، وأننى مازلت عذراء.

فلم ألبثْ أن بكيتُ أنا ووالدتى بكاءً شديدًا فى عيادة الطبيب، ولكن زوجي ذهب بنا إلى طبيب آخر فأكد له ما قاله الطبيب الأول ... وخجل زوجى خجلاً شديدًا، وأطرق برأسه لا يتكلم حتى ذهبنا إلى بيتنا، فأخذ يعتذر لى وأنا صامتة لا أتكلم، وقد شعرتُ أن شيئًا ما قد انكسرَ داخلى، برغم اعتذاره لى ومحاولة

استرضائى بكافة الطرق، قائلا لى إنه فعل ذلك من شدة حُبّه لى، وأننى لو كنت أحبه لَعَذَرْتُهُ.

ولكن بعد مرور ستة أشهر على هذه الحادثة المؤلمة، مازلت أشعر بِكُرْهٍ شديد لزوجى ولن أغفر له أبدًا عدم ثقته بى، إذ كيف يقول إنه أمضى سنة قبل الزواج يراقبنى وتأكد من أخلاقى ثم يفعل ذلك بى؟!

ثم ماذا لو كان الطبيب قد أخطأ فى التشخيص ولم يعرف أن غشائى مطاطى؟ .. كيف كان علىَّ أن أثبت براءتى؟ ... وماذا كان سيفعل بى؟ علمًا بأننى طوال حياتى لم يمد أحد يده علىَّ أبدًا، حتى أمى لم تضربنى قط، حتى وأنا طفلة..

نعم .. أشعر أنه عاملنى بقسوة بالغة لأنه ليس لى رجل يتصدى له، فلو كان عندى أب، أو أخ، أو عم، أو خال، لَمَا فَعَلَ بى ذلك.

لم أعد أستطيع العيش معه، وقد أبلغته برغبتى فى الطلاق منه، وعرضت عليه أن أتنازل عن كل شىء ـ حتى الشبكة ـ ويطلقنى، ولكنه رفض ..

لقد ساءت صحتى، وأشعر أننى كبرت عشرين سنة .. أُحاول دائمًا أن أقنع والدتى بأننى سعيدة حتى لا تسوء صحتها وتموت وتتركنى وحيدة فى هذه الدنيا ..

ماذا أفعل؟ ... وكيف أقنع زوجى بأن يطلقنى؟ .. ولمن ألجأ حتى يساعدنى وليس لى أحد فى الدنيا سوى الله تعالى؟

ماذا فعلتُ حتى أستحقَّ هذا العذاب؟

إننى أصلى، وأصوم، ولا أفعل ما يغضب الله تعالى، فكيف يكون هذا مصيرى؟!

....

تلك قصة ما أراها إلا مَأْسَاةً بمعنى الكلمة، فهل بعد انكسار نفسٍ لا تلتئم، وشرخ فى الأعماق لا يندمل، يمكن أن يُنْسَى، أو نجد سبيلاً للتغاضى عنه؟! .. لقد سُقتُ هذا الاعتراف لتعلم كل أُسرة مدى أهمية الاستقصاء الدقيق عَمَّنْ يتقدم لخطبة ابنتهم .. لا يهم مركزه وثروته، وإنما أخلاقه وثقافته .. وليعلم كل رجل أن

رجولته تستدعيه أن يعرف أن الله قد ميزه على سائر مخلوقاته بما يسمى "العقل"، فهل استخدمه؟ وخَصَّه أيضا بالتعلم والمعرفة، فهل تعلم وقرأ عن شيء يسمى بغشاء بكارة مطاطى؟

❑ ❑ ❑

التخوُّف من الموت:

لكل فتاة تتخوف من الزواج لإصابتها بنوع من الأمراض .. كمرض القلب تخشى منه على حياتها، نسوق هذا المثل من الفتيات، حيث اعترفت إحداهن قائلة:

أنا فتاة فى الثلاثين من عمرى، أعانى من مرض القلب، ونصحنى الأطباء بعدم الزواج، لأن قلبى لن يحتمل العلاقة الزوجية والحَمْل والولادة .. ولى جار شديد الإعجاب بى، لا يتوقف عن إظهار عاطفته نحوى، وهو لا يعلم بحقيقة مرضى ... حدث أن طرق بابنا ليطلب يدى من أُمى - التى ترعانى منذ وفاة والدى - فَوَقَعَتْ أُمّى فى حيرة، برغم ترحابها به كزوج لى، إلا أنها همست لى قائلة: إن القبول أو الرفض يرجع لى .. ولم تكتفِ بذلك، بل استدعتنى لتعرض علىَّ الأَمْرَ أمامه، فَاعْتَذَرْتُ له ونفسى مملوءة بالحسرة، وأنا أقول له: إن أى فتاة غيرى سوف تسعد إنْ تقدم لخطبتها، أمَّا أنا فلا أستطيع الزواج، فخرج غاضبًا حزينًا، واختفى عدة أيام عن ناظرى، فلما سألتُ عنه علمتُ أنه حاول الانتحار، وأنه يرقد للعلاج فى إحدى المصَحَّات النفسية.

أنا لا أستطيع أن أُخْفى مشاعرى تجاهه ... نعم لقد حزنتُ لأجله، واستأذنتُ أمّى، أن أزوره فى العيادة، فسمحت لى، فأخذتُ باقة وَرْدٍ وتوجهت إلى حيث يُعَالَج ... وما إن رآنى حتى أندهش بشدة، وانفرجت أساريره فرحًا بقدومى.

وأخذتُ أُحادثه، فحكيت له أسباب رفضى للزواج منه، وأن فى ذلك خطرًا داهمًا على حياتى.

عندئذ تأثر كثيرًا، لحدٍّ أن بضعة دمعات قد سالت على وجنتيه، ورغم ذلك طلب منى أن أقبل الزواج منه، وعاهدنى أنه سيحافظ على حياتى، فالأعمار بيد الله تعالى وحده، وأن الموت سيأتى لأى سبب فى موعده المحدد، مصداقًا لقوله

تعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾[1].. فلماذا نتعس أنفسنا ونضحى بسعادتنا فيما تَبَقَّى لنا من العمر؟

حقيقة ... لقد أقنعنى بوجهة نظره، فوافقتُ على الفور، وذهبتُ مهرولة إلى أمى أُبَشِّرُهَا بموقفى الجديد من فكرة الزواج والإقدام عليها بهذا الحماس .. كما كان لموقفى هذا أثره الذى ساعده على الشفاء، فخرج قبل الموعد المحدد من مستشفاه لِيُتِمَّ خطبتنا.

وهأنذا أتَفَانَى فى إسعاده، كما يتفانى هو فى إسعادى، رغم طائر الموت المحلِّق فوق رأسى، والذى أراه يبتعد عنى كلما ازدادتْ سعادتى وتشبثت بى إرادة الحياة.

❑ ❑ ❑

الزواج المثالى:

أعجبنى رأى إحدى الفتيات عندما سألتها عن تصورها للزواج المثالى ، فاعتدلتْ فى جلستها لتقول:

الزواج المثالى فى نظرى هو زواج الفكر المتبادل المنسجم، تغذيه صداقة العقلٍ، وترعاه مَوَدَّةُ الذهن، ويحرسُه حنان القلب .. فأنا أنشد زوجًا متعلمًا، مثقفًا، عاقلاً، متزنًا، وقورًا، يبادلنى الأفكار والعواطف فى جَوٍّ من التفاهم الفكرى الهادئ العميق الصافى.

وأنا أكره أن يحبنى زوجى فى مبدأ الأمر حُبًّا خياليًّا عنيفًا، فيرفعنى إلى مصاف الملائكة، ثم لا يكاد يقترن بى، حتى يلمس بعض نقائصى فينحدر بى إلى دَرْك الشياطين.

كل ما أطلب أن يُخاطب زوجى عقلى قبل عواطفى، وفكرى قبل محاسنى، وأن يكون رجلاً يعرف كيف يحمينى، ويَذُودُ عنى، ويغار علىَّ، ويُشعرنى بعقله الراجح، وحَزْمِهِ الهادئ، وإرادته الراسخة .. إنه سيدى بحق .. عندئذ أشعر أن من واجبى أن أحترمه وأطيعه، كما كنت أحترم وأطيع قبل الزواج والدى.

---

(١) الأعراف: ٣٤.

وليس من شك فى أنى لو صادفتُ هذا الرجل، فسأكون أسعد وأخلص الزوجات.

❑ ❑ ❑

سَكَبَ فى أذنى عبارات جميلة:

من الاعترافات التى نسوقها للفتيات لكى يَفِدْنَ منها، بألاَّ يُخْدَعْنَ بالكلام المعسول الذى يسكبه شابٌّ مُخَادِعٌ، وذئب مُراوِغٌ حتى ينال غرضه ومأربه، اعتراف صاحبة هذه التجربة التى ترويها قائلة:

أَبى رجلُ أعمالٍ ناجح، له أعداء ومُنَافسون، وأمى سيدة فاضلة، لم تكمل تعليمها مثل أبى، الذى نجح بموهبته وذكائه فى مجال عمله .. وأنا الابنة الصغرى لهما التى تتفوق كل عام فى دراستها الجامعية، حتى أصبحت فى السنة الأخيرة بكلية الطب... استدرجنى أحد الشباب من زملائى إلى "تجربة حب"، كانت هى الأولى فى حياتى، حيث قَدْ رَبَّانِى أبى فى مُنَاخٍ محافظ، وعلَّمنى أن الاختلاط بالشباب قبل الزواج عيب.

لقد سَكَبَ الشابُّ فى أُذنى عبارات جميلة، كنتُ أسمعها لأول مرة .. أذهلتنى جرأته فى وصف جمالى ومفاتنى، ورغم محاولاتى لترويض مشاعرى فإننى اندفعت فى العلاقة معه بعد أن أدمنتُ صوته ولمساته، وحنانه ووسامته ... أحسستُ أن حبه هو الشريان الذى يمدنى بالحياة، وأننى دونه سأذبل وأموت.

كنت أذهب معه إلى أماكن لم تخطر لى يومًا على بال .. جربتُ معه كل صور المتعة، فقد كان شابًّا مُجَرِّبًا، وكنت أنا الفتاة الخام التى تنبهر بعالمه، ويقوم هو بتشكيلها كيفما رأى .. استطاع أن ينزع عنى الخجل والحياء الذى كنت أتميز به وسط عائلتى وزملائى فى الكلية.

ورحتُ أقتحم معه عالمًا مدهشًا، ولكن أفقتُ منه بعد ذلك على صَدْمَةِ رسوبى فى البكالوريوس" .. كانت المرة الأُولى فى حياتى التى أرسب فيها .. جُنَّ جُنون أهلى، ولكنهم تماسكوا حتى لا أتأثر أكثر من ذلك فأمرض أو أنتحر.

وتوالت الصدمات، فقد تبينتُ بعد ذلك أن والد حبيبى هو ألدُّ أعداء أبى فى مهنته، وأن تجربة حبى كانت خطة مُدَبَّرَةً لإذلال أبى وتهديده بأفلام "الفيديو" التى صَوَّرَهَا لى من كنت أتصوره حبيبى، وأنا معه فى لحظات المتعة الحرام التى فقدتُ خلالها عُذْرِيَّتى وشرفى.

فى البداية طلب منى حبيبى أن يقدم لى مفاجأة ستسعدنى، وأدار شريط "الفيديو"، فرأيت نفسى على الشاشة فى أوضاع مُخِلَّة، أقتل نفسى لو رآها مخلوق على الأرض، فما بالك بأبى وأسرتى .. .. ثُرْتُ عليه، وَهَدَّدْتُهُ بقطع علاقتى به إنْ لم يُسَلِّمْنِى هذا الشريط، فأعطاه لى وهو يقول ضاحكًا مستهزئًا: "لَدَىَّ العشرات غيره" !!

وبدأ يظهر - من كنت أتصورهُ حبيبى - على حقيقته البشعة، ثم صارحنى بأنه لا ينوى الزواج مِنِّى، وطلب منى إقناع أبى بالرضوخ لمطالب والده، وإلا فإن البديل هو الفضيحة، حين يقوم بتوزيع هذه الشرائط على أساتذتى وزملائى فى الكلية، ومعارف أبى وجيرانه.

لقد كان مستحيلاً أن أطلب من أبى أى شىء يتعلق بعمله، واستقر رأيى على الانتحار للتخلص من الموقف المأساوى الذى أعيشه ...

وفعلاً حاولتُ الانتحار، فتم إنقاذى فى المستشفى فى الوقت الحرج، وكان أهلى يظنون أن إقدامى على الانتحار كان بسبب رسوبى فى الكلية.

وحين أفقتُ ووجدتُ نفسى أننى مازلت أَحْيَا أُصِبْتُ بانهيار عصبى، لأننى لا أستطيع أن أتحمل صدمة وخيبة أَمَل أبى فى ابنته التى أعَدَّهَا لتكون طبيبة ناجحة وليست منحرفة، فقد أرسل "النذل" إلى أبى نسخة من شريط فيديو يجمعنا، ويصور مدى سعادتى واستمتاعى بما يجرى بيننا .. وأرفق مع الشريط رسالةً تطالبه بما يريده هو وأبوه.

كاد أبى أن يُجَنَّ أو يموت .. أَتَى إلى المستشفى وهو ثائر، فمنعه الأطباء من دخول غرفتى إلى أن يهدأ ... كنتُ أدرى بكل ما يدور حولى كأنه كابوس لا نهاية له.

وفهم أبى أبعاد المؤامرة، فتحول غضبه العارم إلى حنان دافق، ودخل يُطمئننى بأنه قد أدرك أبعاد المؤامرة، وأنه سيثأر لى ولشرفه، وطلب منى أن أتعافى وأنسى ما حدث، وأتوب إلى الله الغفور الرحيم.

وعلمت وأنا فى المستشفى أن سيارة الشاب الذى خدعنى قد انقلبت به على أحد الطرق السريعة واحترق بداخلها .. وهكذا كان قَدَرُ الله المنتقم الجبار، الذى ثأر لى قبل أن يثأر أبى.

❑ ❑ ❑

استرضاء الوالدين:

هناك فتيات تَحَدَّيْنَ أهلهن وتمسَّكْنَ بشبانٍ أجمعتِ الآراءُ على أنهم لا يصلحون للاقتران. وأن عيوبهم ظاهرة ولا تخفى عن العيان، أو مستترة ويعلمها الكثيرون، وبرغم ذلك فقد شَقَقْنَ عصا الطاعة عليهم وتزوجن منهم، ثم لم تمضِ سنوات حتى صُدِمْنَ فى شخصيات أزواجهن الذين هَجَرْنَ الأهل من أجلهم، وتجرعن كئوس الشقاء معهم، وصِرْنَ نهبًا للندم من أنهن لم يستمعن لنصيحة الأهل فى الوقت المناسب.

ولكن هناك نماذجَ حية من فتيات يَشْعُرْنَ فى أعماقهن أن استرضاء الوالدين هو السبيل الحق للتوفيق فى حياتهن الزوجية، ولذا يصررن على ألاَّ يخرجن عن طاعة الوالدين، أو من يقوم مقامهما من الأهل، وألاَّ يتزوجن إلا بعد قبولهما ورضائهما ... من تلك هذه النماذج الطيبة هذه السيدة التى تروى حكايتها، فتقول:

أنا سيدة فى الرابعة والثلاثين من عمرى .. نشأتُ بين أبوين طيبين وشقيق يكبرنى بعامين .. أما أبى فإنه رجل جادٌّ فى حياته، وشغل مناصب قيادية، وأمى ربة بيت جامعية، تؤمن بزوجها فى كل شىء، ولا ترى رأيًا مخالفًا لرأيه، وقد تَفَرَّغَتْ لأُسرتها الصغيرة منذ ارتبطتْ بأبى، وينعم الاثنان معًا بحياة زوجية موفقة.

تقدم لخطبتى شابٌّ من أبناء الجيران، ووافقتُ عليه، فَفُوجئت بثورة ضدى، لأن الشاب رغم أنه متدين فإنه فقير، ويعيش مع أمه على معاش أبيه، وكان يعمل فى الإجازة الصيفية ليوفر مصاريف دراسته قبل تخرجه فى الجامعة ... فثارت أُمّى

عليَّ، وأبلغتْ أبى الذى تَوَجَّهَ إلى بيت هذا الشاب، وانهال عليه وعَلَى أمه سَبًّا ولَعْنًا، وتمادى لأكثر من ذلك، فصفعه صفعة مدوية أمام أُمه .. ولم يفقد الشاب أعصابه، ولم يزد على أن قال لأبى: إنه يظلمه، وإن الله سبحانه وتعالى يعلم أنه مظلوم، ولهذا فهو يُفَوّضُ أمره إليه وحسبه الله ونعم الوكيل، كما أنه لن يخرج على حدود الأدب معه، حتى لو خلع حذاءه وضربه، فَبُهِتَ أبى، وانصرف مضطربًا، ورَوَى لأُمّى ـ كما عرفت فيما بعد ـ ما حَدَثَ.

وضِقْتُ بهذا الموقف المتعنّت، فلجأتُ إلى عَمّى الذى زارَ بيت الشاب، وجلس إليه وإلى أُمه، واستمع منهما لما فعله بهما والدى على مدى ثلاث سنوات وأكثر، وتأثر كثيرًا بظروف هذا الشاب والتزامه الخُلُقى، وَبِرّهِ بأمه، وصبره على ما ناله من أبى، ووعده بمساندته ... وألتقى بأبى وصارحه بأننى أرغب هذا الشاب، وأنه لا شيء يمنعنى من الزواج منه إلا رغبتى فى ألاَّ أخرج عن طاعته.

وبعد طول معاناة قَبِل أبى بزواجى من هذا الشاب قُبُولَ الكارِهِ المضطر .. وعلى الرغم من تصريحه لى بالانتقال إلى بيت زوجى، فإننى كرهتُ ـ كعادتى ـ أن أفعل شيئًا لا يرضى عنه رضاءً تامًّا، وتمسكتُ بِألاَّ أخرج من بيتى إلا حين يأذن لى بذلك بنفس راضية، فذهبتُ إليه، وارتميتُ على صدره، ودموعى تسيل، وهو ينظر إلىَّ فى حَرَجٍ، كأنما لا يصدق أنى مازلت أحبه بعد ما جرى بيننا، فقلتُ له: وكيف لا أُحِبُّكَ وأنت أبى، وسندى، وعزّى، ومرجعى الذى أرجع إليه فى الملمات، ولم تفعل ماَ فَعَلْتَ إلا حرصًا عليَّ؟ ... فدمعتْ عيناه، وأقسم ألاَّ أنتقل إلى بيت زوجى إلا بعد حفل عشاء يقيمه لى فى أحد الفنادق الكبيرة، وبعد أنْ أَرْتَدِى فستان الزفاف الأبيض، ثم أعطى أمّى مبلغًا من المال، وطلب منها شراء فستان يليق بجمالى على حد قوله.

وعلى عكس كل ما قيل لى من تحذيرات طويلة من الحياة المشتركة مع والدة زوجى، فلقد وجدتُ معها راحتى، ونَعِمْتُ بعطفها علىَّ، وحُبّهَا لى، وتقديرها لتمسُّكى بابنها، فضلاً عن أنها سيدة طيبة وحكيمة، ولا تتدخل فيما لا يعنيها، وتراعى دائمًا خصوصياتى .. ولقد أنجبت بعد حوالى العامين من زواجى طفلاً

جميلاً، لم يتردد زوجى فى موافقتى على تسميته باسم أبى، وأنجبتُ بعد عامين آخرين طفلة رَحَّبْتُ بشدَّة بتسميتها على اسم والدته، التى تَحَمَّلَتْ معظم عبء رعاية الوليد الأول عنى، وأضافت رعاية المولودة الجديدة إلى مسئوليتها.

والحمد لله على كل شىء، فابنى الآن فى الثامنة من عمره، وأُخته فى السادسة، وهما الآن متعة أبى الأولى فى الحياة، وكذلك أمى.

أما زوجى الذى كان مرفوضًا منهما من قبل، فلقد أصبح أقربَ الناس إليهما وهو الذى يلبى مطالبهما، ويقضى مصالحهما، ويعاملهما بحب واحترام.

إننى أشعر بأن كل ما أصابنى من توفيق فى حياتى الزوجية وفى عملى، إنما يرجع إلى إصرارى على ألاَّ أخرج على طاعة أبى وأمى، وألاَّ أتزوج إلا بعد قبولهما، إلى جانب دعائى دائمًا إلى الله عز وجل أن يجمع شملنا فى حياة مشروعة يرضى عنها الله تعالى.

❑ ❑ ❑

لن أتزوجها أبدًا:

قصة من حياتنا الواقعية نهديها لكل فتاة، لتعلم كيف يفكر من يحاول أن يعيش معها قصة حب يبتغى من ورائها الاقتران بها كزوجة، يعبر عن ذلك اعتراف أحد الشباب الذى أحب فتاته وعشقها، فيقول:

انتهى كل الحب الذى أحمله لها فجأة ... دون مقدمات شعرت أننى لم أَعُدْ أحبها، وكأنى لا أعرفها أصلاً، بعد قصه حب عنيفة بدأت بلقائنا فى النادى مصادفةً، واستمرت ست سنوات تقريبًا.

أطلق الأصدقاء على حكاية حبنا: الأُسطورة ... نعم .. استمرت الأسطورة سنوات، لم يعكر صفوها إلا اعتراف حبيبتى لى بأنها ليست عذراء ... صدمنى الخبر بعد عدة سنوات من تعارفنا، وحاولتُ أن أفهم منها كيف؟ .. ولماذا حدث هذا؟

وزاد رَدُّهَا من عذابى عندما علمتُ أنه عندما حَدَثَ هذا لم تكن طفلةً، ولا حتى مراهقة! .. لقد فقدتْ حبيبتى عُذريتها وهى فى الثامنة عشرة من عمرها، ودون

ضغط أو اغتصاب.. حَاولْتُ رغم ذلك أن ألتمس لها الأعذار وأستمر فى حبى، لكنَّ جزءًا بداخلى كان يحارب ضدى، ويؤكد لى أننى مهما حاولت فلن أستطيع التغلب على هذا الموقف ولن أنساه .... خلال هذه الفترة كُنَّا ـ أنا وحبيبتى ـ نكاد نصبح شخصًا واحدًا، لأننا لم نكن نفترق إلا للنوم الذى نسرق ساعاته القليلة بسرعة لنلتقى، أو لأذهب لعملى كمرشد سياحى.

ثم يستطرد قائلا:

لم أعد أناقش موضوع العذرية، لكننى ـ فى أعماقى ـ لم أستطع أن أنساه، ففجأة كنت أتذكره وأتعذب به ... حاولت أن أنقذ نفسى، فحدثتها لأنهى العلاقة بيننا ونفترق، وكان الرد الوحيد على كلامى محاولة انتحار فاشلة لحبيبتى انتهت على أيدى أهلها.. أنقذوها فى آخر لحظة ..

لم يستطع ضميرى أن يتحمل ذنب موتها، فرجعتُ عن عزمى بإنهاء علاقتى بها، ولكن حبى الحقيقى لم يرجع معى، فقد بدأت مشاعرى نحوها تَقِلُّ تدريجيًّا فى الوقت الذى كان حبها لى يتزايد، وتعلقها بى يزعجنى .. لم أتحمل طويلاً فقررتُ مرة أخرى إنهاء العلاقة بحزم، ودون أى تردد، ولكن أعادتنى إليها محاولة انتحار ثانية، رغم أن عودتى هذه المرة كانت أصعب وأشق على نفسى، ولكن ماذا أفعل تجاهها، خصوصًا أن مشاعرى نحوها أصبحت مجرد شفقة عليها؟... أمَّا الحب الذى كان يكتنف قلبى فكأننى لم أشعر به نحوها قط ...

نعم ... أستطيع أن أستمر معها كى لا أتحمل ذنبها، لكننى لن أستطيع أن أتزوجها أبدًا ... عندئذ سأظلم نفسى وأظلمها معى بهذا الزواج، لأننى لن أنسى ـ مهما حاولت ـ أنها لم تكن عذراء عندما تزوجتها .... سأشعر أن قبولى بهذا الوضع ضد رجولتى وتقاليدى، مهما كنت متفتحًا ... أما هى فلن تكون سعيدة فى حياتها معى وأنا أفكر فيها بهذه الطريقة، التى ستنعكس على تعامُلى معها وتسبب لها التعاسة.

❑ ❑ ❑

أنا زوجة وأعيش فى بيت أهلى وهم لا يعلمون:

نسوق تلك المشكلة لكل فتاة كى تعتبر وتأخذ درسًا من تلك المأساة التى تعيشها طالبة جامعية غَرَّرَ بها شاب تحت ما يسمى بـ"الزواج العرفى" ... كما نسوق تلك المشكلة للآباء والأمهات ليعرفوا أن الصداقة بينهم وبين أبنائهم هى الملاذ الوحيد ضد انهيارهم واستسلامهم لهذا النوع من الخطأ، الذى ينم عن تهوُّر وطيش، أكثر مما ينم عن سوء غريزى أو شرٍّ متأصل.

تقول صاحبة المشكلة: أنا طالبة جامعية، فى التاسعة عشرة من عمرى، تقدَّمَ لخطبتى طالب فى معهد عالٍ، فى الثانية والعشرين من عمره، فرفضه أبى، لأنه على حد قوله "مفلس"، ولا يزال أمامه وقت طويل لتكوين نفسه .. كنت أُحِبُّهُ حُبًّا عنيفًا، وتحت تأثير هذا الحب أغرانى بالزواج سِرًّا على يد مأذون وبشهادة شهود.

وأنا الآن زوجته من شهرين، وأعيش فى بيت أهلى وهم لا يعلمون .. وقد بدأ زوجى هذا يضطهدنى ويذلنى، ويطلب منى أن أعطيه مصاغى أو أفارقه "فى ستين داهية"، مع استعداده لتطليقى سرًّا كما تزوجنى سرًّا، وعلىَّ أن أدبر أمر غشاء بكارتى .. وأنا حائرة، فماذا أفعل؟

هذا، وقد وردتْ هذه المشكلة إلى برنامج "لو كنت مكانى"، الذى كان يعده الراحل ضياء بيبرس، الذى أجابها قائلاً:

هناك فرق بين الخطأ والخطيئة .. وزواجك من هذا النذل الذى أغراكِ باستغفال أهلك خطأ جسيم، بل فظيع، ولكنه ليس خطيئة.

وأُؤكِّدُ لكِ أن أهلك لن يقتلوك كما تظنين إذا اعترفتِ لهم بهذا الخطأ المخيف .. ربما سيعاملونك بقسوة .. وربما أهانوكِ، ولكنهم لن يقتلوكِ.

وأنا لو كنتُ مكان أبيك لأخَذْتُكِ إلى الإذاعة أو التليفزيون، ولطلبتُ منهما أن يَسْمَحَا لكِ بأن تروى على مَلأ من بنات جيلكِ ـ عبر الأثير ـ كيف ضحك هذا الشاب عليك وسحبك إلى المأذون الشرعى غصبًا عن أهلك .. وكيف أنه ـ الآن ـ

يَسُبُّ أَبَاكِ وأُمَّكِ ليلَ نهار ـ كما رويتِ لى بالتفصيل فى خطابك الذى هذبته كثيرًا ـ نعم .. لو رَوَيْتِ قصتكِ هذه لأنقذتِ آلافًا، بل عشرات الآلاف، من الفتيات اللاتى يسقطن فى مصيدة الزواج السِّرّى، أو مصيدة الزواج العُرفى، ممن لا يخاف الله، ولا يختشى من الناس.

ولكن ما دام والدك لن يفعل هذا، فيبقى أن تلجئى إلى قريب لكِ ذى شخصية فى الأُسرة ـ خالك أو عمك مثلاً وتبوحى له بقصتك، ليتوسط لكِ عند والدك ليصفح عنك، وليعاملك بحنان، وترفُّعٍ عن القسوة أو الإذلال.. فإن لم تجدى بين أقاربك من له نفوذ على والدك فالجئى إلى مدير أمْنِ المحافظة التى أنتِ منها، أو إلى ضابط العلاقات الإنسانية فى قسم الشرطة الذى تتبعينه، واطلبى منه أن يسهل لكِ ـ تحت رعايته ـ أن تركعى أمام والدك، وتعترفى بذنبك[1].

❑ ❑ ❑

---

(١) نُشرت هذه المشكلة بمجلة أكتوبر ـ عدد ٢٨ / ١٩٨٦/٩.

كثيرات أخذتهن الدنيا وزينتها:

كلمة وشهادة من فتاة لبنات جنسها، قالت فيها:

أتمنى من الله أن تحيا بهذه الكلمة بعض القلوب التى ماتت .. فكثيرات فَقَدْنَ حلاوة الإيمان، وَانْسَقْنَ وراء متاع الدنيا وزينتها .. وَسِرْن وراء الموديلات" وأخبار الموضة، والطرق والأساليب الواجب اتباعها للرشاقة، ووضع الماكياج الملائم ... بل فى كثير من الأحيان يتسابقن فى تغيير الأثاث والمجوهرات والإكسسوارات بدلا من أن يتنافسن فى أعمال الخير والبر.

إننا فى أَمَسّ الحاجة للمرأة المسلمة لا المرأة "المتفرنجة" المقلدة للغرب، فإن صَلُحَ حال النساء فسوف ينصلح حال الأُمَّة بِأَسْرِهَا، بل سوف ينصلح حال الدنيا كلها.

نعم ... إننى أُوَجِّهُ نداءً لكل من ماتت قلوبهن وضمائرهن، وليس عندهن إلا آخر صيحات الموضة، "والماكياج"، والإكسسوارات، والتقليد الأعمى ..أَنْ يَعُدْنَ إلى ديننا الإسلامى الذى ارتضاه الله لنا، وإلى الحجاب الشرعى، وإلى كل ما أمر الله به ورسوله الكريم، وأن يَتَّقِينَ الله فى السِّرِّ والعَلَن حتى ينصلح حالهن(*).

❑ ❑ ❑

أتمنى أن أحب!:

بعثت فتاة برسالة تقول فيها:

أنا فتاة جامعية متفتحة، عندى مفاهيم راسخة، ومبادئ لا أحيد عنها، .. فى السادسة والعشرين من عمرى، وللآن لم يتقدم لى من يخطبنى ... وإذا حدث مرة لا يعود، ولا أعرف السبب!

فى الماضى البعيد أحببتُ جارًا لى، وكان الاحترام متبادلاً بيننا، وبعد تخرجنا تكلّم معى عن الإمكانات المتاحة له،ومشكلات الحياة، وكنت أُجاريه وأُخفف عنه، ولكن لم يلبث أن ابتعد عنى، فَصُدِمْتُ، وَعِشْتُ حزينةً ردحًا من الزمن .. الغريب فى الأمر أنه خلال العمل يتكلم معى الزملاء فى كل شىء إلا الزواج.

(*) صحيفة المسلمين ـ عدد ٤ / ٢ / ١٩٩٤.

وأتساءل: هل من المفروض أن نتلاقى ونتكلم فى الحُبّ ومعسول الكلام، وبعد ذلك لا نصل إلى شىء، مثلما يحدث مع البنات من حولى؟

وفى الوقت نفسه أشعر بالاختناق .. أتمنى أن أحب .. أتمنى أن أجد الإنسان الذى يفكر فىَّ ويحس بما احتاج إليه من عطف وحنان، وأن يكون لى زوجًا صالحا .. ورغم ذلك فإننى أشعر بكل الرضا عن تصرفاتى، من الجدية والاستقامة، ولكن الكثيرين يتهموننى بالجفاء والجمود، ولا يعرفون أننى أعتصر ألمًا وحسرةً.

أسأل نفسى دائمًا: لماذا أنا ناجحة فى حياتى العملية، فى حين أنا فاشلة فى حياتى العاطفية؟ .. هل أنا غير طبيعية؟

....

الرد:

يحدث أحيانًا أن الفتاة العاقلة الرزينة الجادة لا تجد حظها فى الزواج سريعًا مثل الأُخريات .. ولكن ليس معنى هذا أنها لن تتزوج، بل معناه أنها لم تقابل بعد الشخص الذى يُقَدّرُ هذه المميزات ويتجاوب معها، ويسرع فى طلب يدها.

وأعتقد ـ يافتاتى، رغم ما لديكِ من صفات طيبة، فقد أَحْجَمَ عنكِ بعضُ الشباب الذى يريد الفتاة المتبرجة اللعوب التى تخطف بصره، متوهمًا أن الحب جمع بين قلبيهما، ولكن هذه كلها قشور لا تلبث أن تنكشف بعد الزواج، ويظهر كل منهما على حقيقته، وغالبًا ما تكون حياتهما غير موفقة

أقول هذا عن بعض الشباب .. أما البعض الآخر، فربما لا تسمح له الإمكانات بالزواج، فيبتعد قبلما ينكشف أمره.

بلا شك ستجدين مَنْ يناسبك، فلا تحزنى ولا تتشاءمى، فينعكس ذلك على وجهك فتنطفىء صباحته وتذبلين، وهذا عكس المطلوب، من أن تكونى متفائلة بالحياة، مرحة، مؤمنة بأقدار الله تعالى .. ولا تَنْسَىْ أنه كثيرًا ما يتم الزواج بعد سن الثلاثين.

❑ ❑ ❑

اعترافات فتاة جامعية ماركسيّة تائبة(*):

عندما يُفرض الاختلاطُ كصيغة واقعية لا تنازل عنها فى مجتمعاتنا، ولاسيما فى المدارس والجامعات، ويُفَلْـسَفُ ذلك على أنه ضرورةٌ اجتماعية، ونمطٌ حضارى، يصبح البكاء على الشرف المهْدُور، والأخلاق المذبوحة، نوعًا من الحرث فى البحر.

وقصتنا التى نسوقها شاهد على صحة ما نقول، فهى نتيجة حتمية، وإفراز مأساوى من إفرازات الاختلاط المفتوح الذى ينعق به المغرضون ... قصتنا نستعرضها من خلال اعترافات فتاة جامعية اعتنقت المذهب الماركسى، فتقول:

صحيح أننى لم أَعُدْ فتاةً تستحق الاحترام، ولكن مازال فى نفسى شىء من الشجاعة يدفعنى إلى كشف الحقائق المخيفة، وفَضْح النفاق السياسى الماركسى، حتى لا تغتر فتاة غيرى فتتكرر المأساة، وحتى يراقب أولياء الأمور بناتهم فى الجامعة حتى لا ينزلقن فى الماخور السياسى وينخدعن بفكر الرذيلة.

نعم ... رغبتى فى تحذير كل فتاة على أبواب الجامعة من الوقوع فى الخطيئة، التى ما زلتُ أعانى من آثارها، وتنبيه الأولياء لكى يحموا بناتهم من الوقوع فى براثن الأفّاقين فى أسواق السياسة، فقد كنتُ ضحيةَ شذوذِ الفكر الماركسى بالجامعة، وأساليبه السياسية الرخيصة.

وتستعيد الفتاة ما كانت تحلم به وهى فى التعليم الثانوى، فتقول:

وأنا طالبة فى المرحلة النهائية من التعليم الثانوى، كنت أحلم بدخول الجامعة حتى أتحرر من قيود العائلة والمجتمع، وأعيش فى جنة الحرية.

وتمر الأيام، وأجد نفسى فى السنة الأولى بالجامعة، وكم كانت سعادتى وأنا على موعد مع أجواء التحرر والحرية ... ولم يمض علىَّ شهر بالجامعة حتى كان

(*) مجلة المجتمع الكويتية ـ فى أحد أعدادها الدورية (بتصرف).

اللقاء الأول مع المهدى المنتظر، الذى أرسله إلىَّ الفريقُ الماركسى المكلف بمهمة الاحتواء للطلاب والطالبات الجدد، وخاصة الفتيات الحسناوات.

لقد كان الرفيق مُتَسلِّحًا بوسامة الوجه، وطَلاَقة اللسان، وسرعان ما شرع فى سرد محفوظِه السياسى، وشعاراته الثورية، وحماسته العنترية، فانبهرتُ بما يقول، وأنا الفتاة التائهة، الباحثة عن مبدأ فى الحياة لأثبت به وجودى

ثم تضيف الفتاة التائهة، العائدة إلى واحة الإيمان، متحدثة عن الخطوة الثانية قائلة:

وبعدها بدأ هذا الرفيق الموعود يعلمنى أبجدية الماركسية، وهى أن أتخلص من كل ما تربيتُ عليه من أخلاق، وما ورثته من قيم لتتحرر نفسى من العُقَد، وينعتق جسدى من الحرمان.

ولما أيقن ـ الرفيق المعلم ـ أننى أصبحت ثمرة ناضجة، انتقل من مرحلة الانتظار والتنظير إلى مرحلة الإنجاز والفعل بالسلوك الماركسى، فنهش الثمرة بأنياب الجوع ـ أعنى الجوع الجنسى ـ ثم ألقى بما تبقى منها إلى بقية الرفاق.

وبانتهاء الوليمة القذرة تتخلص الضحية من عُقَدِهَا الجسدية والنفسية، ومن قيود ما يُسَمَّى بالعفة والشرف والأخلاق، هكذا أوهمونى بهذا الفَهْمِ المعوج بعد أن خضعتُ لعمليات غسيل مخ، بمضغ تلك الشعارات التحررية الثورية، وترتيل مبادئ ومفاهيم "ماركس" و "أنجلز"، و"لينين"، وبقية فحول هذا القطيع الغبى المتجرد من القيم والأخلاق والشرف.

وتصمت الفتاة برهة لتلتقط أنفاسها الحرَّى ثم تستطرد قائلةً فى شحنة من الحسرة والندم

أَوَدُّ أن ألفت نظر بنات جنسى إلى أن هناك خمسَ نقاطٍ حساسة فى الفكر الماركسى تدور حول المرأة، والأسرة، والشعب، والمنهج، والوسيلة .. فماذا تعنى؟

ـ بالنسبة للمرأة .. قالوا لى عن المرأة إنها مساوية للرجل، ويقصدون من ذلك أن تتصرف فى جسدها بكل حرية، فلا تلتزم بأخلاقٍ ولا قيم، ومن حقها أن ترفض الارتباط بزوج واحد، لأن الزواج بمفهومه التقليدى صورة مصغرة لمجتمع الإقطاع والملكية الفردية، فالمرأة عندهم جَسَدٌ يُلْتَهم، وأداةٌ تُسَخَّرُ لخدمة الأهداف التكتيكية والاستراتيجية للفكر الماركسى.

- وبالنسبة للأُسرة .. فلقد علمونى أن الأُسرة هى نموذج المجتمع البرجوازى المستبد، لذا تجب الثورة على نظام الأسرة والقضاء عليه، وعصيان الوالدين ... وهذا ما طبقته بحذافيره مع أمى المسكينة، وأبى الشيخ العليل، حيث نَالاَ مِنىّ ما يكرهان ... وياللأسف والحسرة، مات أبى منذ سنتين، وما لبثت أمى أن لحقت به بعد ستة أشهر .... رَحَلاَ عنى وهما يحملان فى قلبيهما أَسًى ولوعة على ابنتهما العاَقَّة المنحرفة، وَتَرَكَا لى إخوة مازالوا فى سن الدراسة، فآهٍ ثم آه ... ثم آه!!

- وبالنسبة لما يقصدونه بالشعب، قالوا لى: هو قميص عثمان الذى يتكلمون باسمه، ويعنفون غيرهم باسمه، ويرتكبون كل الموبقات باسمه، فهم يرفعون شعار "البروليتاريا" ويمارسون فى حياتهم الخاصة سلوكًا برجوازيًّا..

فما رأيت مرة قط - ولو واحدًا منهم - يواسى فقيرًا، أو يتواضع لعامل، أو يُشارك فى عملٍ اجتماعى مفيد، فكلهم يَسْعَى إلى إشباع رغباته المادية، وإلى البحث عن الشهرة من خلال رفع الشعارات الكاذبة.

- وبالنسبة لمنهجهم فهو يعتمد على الشعار الميكيافيلى المعروف "الغاية تبرر الوسيلة"، حتى ولو كانت الوسيلة غاية فى الانحطاط والابتذال، والمعنى واضح لا يحتاج لإيضاح أكثرَ أو تفسير.

- أما بالنسبة للوسيلة، فهى مرتبطة بسابقتها - بالمنهج كما أوضحت، وهى الجنس والإغراء، لذلك كثيرًا ما يُسخروننا - نحن الفتيات الجميلات - لإقامة علاقات فاجرة مع عناصر معادية للحصول على الأسرار، أو ترويجها فيما بعد، على سبيل الابتزاز والتهديد.

وتختتم الفتاة الجامعية اعترافاتها بقولها:

وهأنذا بعد هذه التجربة المريرة فى ماخور المجتمع الماركسى أعود بالغربة، وبحسرات الندم التى تقطع نياط قلبى، أعود بعينٍ تذرف الدمعَ على شَرَفٍ مهدور، ووالدين مَاتَا حسرة وكمداً.

صحيح أننى أصبحتُ فتاة لا تستحق الاحترام، ولكن مازال فى قلبى من الشجاعة ما يدفعنى إلى كشف الحقائق الخفية، وفَضْح النفاق السياسى الماركسى، حتى لا تغتر فتاة غيرى فتتكرر المأساة، وحتى يراقب أولياء الأمور بناتهم بالجامعة، أو غيرها، حتى لا ينزلقن فى هذا المستنقع السياسى العَفِن الآسِن، وينخدعن بفكر التحرر الزائف، المنطوى على الرذيلة.

❑ ❑ ❑